الكويت من النشأة إلى الاستقلال ومن الدستور إلى الاحتلال ومن التحرير إلى الاختلال

المؤلف: محمد اليوسفي

الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بيروت، ٢٠١٣

عرض

عبد الرحمن محمد الإبراهيم

باحث دكتوراه

معهد الدراسات العربية والإسلامية

جامعة إكستر – بريطانيا

صدر كتاب الكويت (من النشأة إلى الاستقلال) (ومن الدستور إلى الاحتلال) (من التحرير إلى الاختلال) للكاتب محمد اليوسفي عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠١٣ الكتاب يعتبر أول كتاب يتحدث عن تاريخ الكويت السياسي منذ النشأة حتى يوم صدوره.

الكتاب يعتبر إضافة لما كتب عن تاريخ الكويت إلا أنه تحول من كتاب تاريخي إلى كتاب أرشيفي جمع فيه ووثق من خلاله المؤلف محمد اليوسفي ما نشر وكتب في الصحافة المحلية والعربية وما نشر من كتب عن تاريخ الكويت بمراحله المختلفة، جهد الكاتب كبير بلا شك إلا أنه جهد غير أكاديمي أغفل بقصد أو من غير قصد مراحل تاريخية ضرورية لم يناقشها أو تطرق لها بشكل سطحي. مثل هذه الأعمال تحتاج لوقت طويل وجلد وصبر ولعل الكاتب في الطبعات المقبلة يصحح ما فاته ويحسن من الدرجة العلمية للكتاب فيحوله من كتاب أرشيفي سردي إلى مصدر مهم من مصادر تاريخ الكويت المعاصر.

محتويات الكتاب

انقسم الكتاب إلى ثلاث مجلدات تحدث المؤلف في الجزء الأول (**الكويت من النشأة إلى الاستقلال**) عن قدوم العتوب وهم مجموعة أسر من قبيلة عنزة قدمت من نجد وكان أبرز هذه الأسر الصباح والخليفة والجلاهمة، وشرح الكاتب الخلافات التاريخية حول هجرة العتوب وأماكن استقرارهم قبل وصولهم للكويت. استقر العتوب في الكويت بحدود سنة ١٧١٦ بإذن من شيخ بني خالد سعدون بن محمد حيث كانت الكويت تحت سلطته.[1] ثم انتقل المؤلف لنقاش وصول الشيخ مبارك بن صباح (١٨٩٦ - ١٩١٥) للحكم من خلال قتلة لأخوية ومر على حكم أبنائه جابر (١٩١٥ - ١٩١٧) ثم سالم (١٩١٧ - ١٩٢١) وخلال عهد سالم بن صباح تطرق لمعركة الجهراء ١٩٢٠ التي كانت ذروة الصراع بين سالم وعبد العزيز بن سعود. عهد أحمد الجابر (١٩٢١ - ١٩٥٠) كان له النصيب الأكبر في هذا الجزء حيث عرض الكاتب الظروف التي أوصلت أحمد الجابر للسلطة ووثيقة ١٩٢١، ثم مؤتمر العقير ١٩٢٢ الذي رسم الحدود بين العراق والكويت والمملكة العربية السعودية، وخصص المؤلف الجزء الأكبر من حديثه عن عهد أحمد الجابر من خلال حديثه عن المجلس التشريعي (١٩٣٨ -١٩٣٩) وختم المؤلف الجزء الأول من خلال استعراض العشر سنوات الأولى من حكم عبد الله السالم (١٩٥٠ - ١٩٦٥).

الجزء الثاني من الكاتب عنونه اليوسفي (**الكويت من الدستور إلى الاحتلال**) بدأ في أوله بالحديث عن المجلس التأسيسي ونقاشات الأعضاء حول الدستور، واختتم ذلك بوفاة عبد الله السالم وتولي صباح السالم الحكم في الكويت (١٩٦٥ - ١٩٧٧) تحدث فيه عن تزوير انتخابات مجلس الأمة ١٩٦٧ وكتب بشكل مفصل عن نكسة فلسطين ١٩٦٧ ثم لجنة تنقيح الدستور ١٩٧٥، بعدها انتقل في حديثه إلى عهد جديد في تاريخ الكويت الحديث إذ بدأ الحديث عن مرحلة حكم جابر الأحمد (١٩٧٨ - ٢٠٠٦) في هذا الجزء يركز الكتاب على الثورة الإيرانية وأثرها على الكويت، سوق المناخ الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالمواطنين، مجلس ١٩٨١ وحركة المعارضة

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

أو ما يُعرف بدواوين الاثنين ثم يختم هذا الجزء بالغزو العراقي للكويت ١٩٩٠.

(**الكويت من التحرير إلى الاختلال**) هو الجزء الأخير من كتاب محمد اليوسفي يبدأ حديثه في هذا الجزء عن التحرير وعودة الحياة البرلمانية الكويتية وملابسات فصل ولاية العهد عن رئاسة مجلس الوزراء ٢٠٠٣، عهد صباح الأحمد (٢٠٠٦-) هو الجزء الأخير من هذا الكتاب إذ يتحدث عن أزمة الحكم وعزل سعد العبد الله الأمير الرابع عشر للكويت، ثم ينتقل للحديث عن أزمة رئيس الوزراء ناصر المحمد وعزله من خلال نزول الكويتيين للشارع ويختتم هذا الجزء بما يسمى بأحداث الربيع الكويتي والأزمة الدستورية.

سوف يتناول هذا المقال الأخطاء المنهجية التي وجدت في الكتاب، والحديث عن اختيار المصادر واختزالها، بالإضافة إلى بعض الأخطاء التاريخية التي وردت في ثنايا الكتاب.

منهجية الكتاب

الكتاب سردي، وهو ينتهج نهج المؤرخين التقليديين والهم الأعظم لهذه الكتابات هو التركيز على تطور البلدان من خلال تعاقب الحكام وتطور حكمهم، وتكتفي هذه الكتابات بالسرد وهذه المدرسة التاريخية قد تكون مقبولة في الماضي، أما علم التاريخ اليوم فهو يعتمد على التحليل ومحاولة كشف الغطاء عن الحقائق التاريخية. فالنظريات العلمية صارت جزء لا يتجزأ من تحليل الأحداث التاريخية وتفسيرها، وهذا الأمر لم يكن موجودًا في كتاب المؤلف اليوسفي رغم توفر العديد من النظريات التي يمكنه من خلالها تحليل كم المعلومات الهائل الذي احتواه الكتاب بأجزائه الثلاثة.

لم يعتمد الكاتب على المقابلات الشفهية للمعاصرين واكتفى بالمقابلات الشفهية للمشاركين في الحدث كما ذكر "**الميل قدر الإمكان نحو نقل الحدث بلسان شهوده ومعاصريه في وقت وقوعه**"، ومع ذلك لم يلتزم هو بالمنهجية التي أخطها لنفسه خصوصًا في الجزء الثاني والثالث، فمعاصرو الأحداث لا يزال كثير منهم على قد الحياة، ثم إن المقابلات الشفهية تعتبر جزء مهما في منهجية البحث إذا تستخدم هذه الأدوات لسبر التاريخ والوصول لمعلومات قد لا تكون مذكورة في المصادر السابقة. كذلك صانعوا هذه الأحداث بعضهم لا يزال على قيد الحياة وسؤالهم بلا شك سيثري الموضوع بشكل كبير.

ثم أن الكاتب ذكر اعتماده على المصادر المكتوبة وكأنه أعطاها قدسية وغفل عن أن الكثير من المصادر التي اعتمد عليها هي بالأساس اعتمدت كليًا على المقابلات والنقل الشفهي ككتاب تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد إذ يقول في مقدمته: "**فأقدمت عليه – أي كتابة تاريخ الكويت- غير معتمد إلا على أخبار النقلة وأخبار الرواة وعلى نبذ من الرسميات لا غير، ولا أذكر في الغالب من الحوادث إلا ما هو شائع عند الكثيرين وقد أعتمد على رواية فرد إذا كانت معقولة وليس ثمة ما يخالفها... لكن إذا وجدت رواية أُختلف في تفاصيلها فإما أن أذكر الروايات كلها أو أختار منها ما أراه في نظري أصح**".[٢] أو كتاب الشيخ يوسف بن عيسى،[٣] فاليوسفي نقل عن كتب فعلت ما لا يريد هو فعله، وقد ذكر سبب عدم اعتماده على المقابلات: "**امتناعي عن ذكر الكثير من الروايات المتداولة بشكل شفهي دون توثيق حرصًا على مصداقية المعلومة**".[٤] ثم يقوم هو بمخالفة ما يقوله، إذ إن بعض المصادر المكتوبة التي نقل عنها ليست حيادية، أو ربما تكون موجهه كالصحف اليومية أو سجل الكويت المطبوع من الأرشيف البريطاني، أو حتى كتاب حسين الشيخ خزعل والخلاف مشهور بينه وبين أحمد الجابر والصباح بشكل عام حول أملاك الشيخ خزعل في الكويت، وهذا ربما يكون خللاً في منهجية المؤلف.

الكاتب يذكر صراحة بأن كتابه هو "الملف الطبي للكويت"،[٥] ولم يعط لنفسه فرصة المراجعة إذ أن كل كتاب فيه من العيوب ما فيه، وإلا لما كتب أحد النقد، وفي ذات السياق لم يوضح الكاتب في مقدمته عن الصعوبات التي تعرض لها فهناك العديد من مراكز البحث والمكتبات الخاصة التي لم يذكرها رغم أهميتها وارتباطها ببحثه كدارة الملك عبد العزيز مثلاً، أو أرشيف الديوان الأميري وغيرها من المراكز التي فيها الكثير من الوثائق غير المنشورة.

اعتذر الكاتب في مقدمته عن عدم دقة تحويل التواريخ الهجرية إلى الميلادية أو العكس وهذا غير مبرر ولا مفهوم، فاليوم تحويل التاريخ من ميلادي إلى هجري والعكس متاح يدويًا أو حتى عن طريق بعض المواقع الالكترونية، وأكد على استخدام التواريخ الميلادية بشكل أساسي في البحث مع استخدام التاريخ الهجري "عند الحاجة". التاريخ الهجري هو التاريخ المعتمد في فترة الجزء الأول من كتابه تحديدًا، ولذلك الاعتماد على التاريخ الميلادي مبرر من ناحية استخدام الوثائق البريطانية، إذ أن مراسلات البريطانيين كانت بالتاريخ الميلادي، أما الأحداث الداخلية فغالب المراسلات تستخدم التاريخ الهجري، وهذا واضح وجلي من خلال الوثائق التي نشرها في الجزء الأول.

كما أن الكاتب اعتذر عن عدم ذكر بعض الحوليات القديمة لليوم أو الشهر التي وقعت فيه الحادثة، وهذا صحيح، لكن غالبًا في الحوادث تكون هناك دلالات على وقت وقوعها فإذا وقعت في الشتاء كان وقتها معروفًا، وإن وقت الغوص كان التقريب ممكنًا أو وقعت متزامنة مع وقوع حادثة أخرى كان الجزم متاحًا.

المصادر والمراجع المستخدمة في الكتاب

استخدام الكاتب للأرشيف البريطاني شيء يحسب له، إلا أن استخدام السجل المنشور فقط يعتبر قصورًا في البحث، إذ أنه في الغالب الوثائق المنشورة تكون منتقاة، ولم أعثر على ما يؤكد أن كتاب (Records of Kuwait ,A de L'Rush) وهو الكتاب الذي اعتمد عليه اليوسفي كثيرًا في كتابه خصوصًا في الجزء الأول قد حوى كل ما في الأرشيف البريطاني الهندي وأرشيف وزارة الخارجي، ولهذا الاعتماد

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

فقط عليه لا يكفي لمحاولة الوصول للحقائق التاريخية، بالإضافة لما سبق هناك العديد من الكتب التي نشرت وثائق بريطانية تتعلق بتاريخ منطقة الخليج بشكل عام وتاريخ الكويت بشكل خاص لم يتطرق لها المؤلف وأحسب أنه لم يطلع عليها مثل:

- Arabian Gulf Oil Concessions, 1911-1953 (12 Volumes), Archive Edition, 1989.
- Neglected Arabia, Arabia Calling 1892 - 1962 (8 Volumes) Archive Edition, 1988.
- The Persian Gulf Administration Report 1873-1957 (11 Volumes) Archive Edition, 1986.
- Political Diaries of the Persian Gulf, 1904-1958, (20 Volumes) 1990.
- Records of the Persian Gulf Pearl Fisheries, 1857-1962(4 Volumes), Archive Edition, 1995.

وغيرها من الوثائق التي نشرت باللغة العربية.

وقد اعتمد بشكل مبالغ فيه على كتاب الدكتور/ سلطان القاسمي، بيان الكويت،[٦] من (ص ١١١ إلى ص ١٢٠) من خلال حديثة عن معركة الصريف وهدية، فقد أشار له كمرجع أكثر من (٢٠) مرة، وهذا خلل خصوصًا أن معركة الصريف بحثت بشكل كبير من قبل الباحثين قديمًا وحديثًا والمؤلف ذاته استعان ببعض هذه المصادر لكن لا يفهم إصراره على استخدام كتاب القاسمي في بعض الصفحات كمرجع وحيد للأحداث، هذا الاستخدام يضعف من حيادية المؤلف فقد كتب في تفاصيل هذه المعركة من أكثر من وجهة نظر على سبيل المثال (كتاب كون الصريف لخالد الخويطر[٧] ٢٠١٢ ، وكتاب المستودع والمستحضر لخليف الشمري[٨] ٢٠٠٦، وغيرها).

يلاحظ من خلال القراءة تكرار الكاتب نقل معلومات في موضوع معين من ذات المصدر[٩] خصوصًا في الجزء الأول وهذا يدعونا للتساؤل هل النقل لإجبار القارئ على الاقتناع بوجهة نظر الكاتب، أم أن عدم وجود مصادر أخرى عند الكاتب جعلته يستخدم ذات المصدر لمرات عديدة.

تحدث الكاتب عن الوهابيين الموحدين كما أسماهم أو الدولة السعودية الأولى ونقل الأحداث عن المصادر الكويتية والبريطانية، لكنه أغفل ما كتبته مصادر الدولة السعودية كتاريخ بن غنام أو تاريخ بن بشر، علمًا بأن الكتابين وغيرهما مطبوعان وتم تحقيقهما عدة مرات، وللأمانة العلمية اكتفى الكاتب بالنقل عن موقع مقاتل من الصحراء رسالة من الإمام سعود بن عبد العزيز، والسؤال هل موقع مقاتل من الصحراء هو المكان الأنسب لتوجيه القارئ الذي يرغب في الاستزادة عن عقائد الدولة السعودية الأولى؟ المشهور عن هذا الموقع أنه موقع سياسي عسكري أكثر من كونه تاريخيًا، ثم إن صاحب الموقع هو أمير سعودي وهذا يجعلنا نختبر الكثير من المعلومات التي فيه لأننا لا نعرف مدى صحتها أو دقتها، وكان الأحرى للباحث أن يتجه لكتب الوهابيين أو الموحدين أو الدولة السعودية الأولى وكلها متوفرة ومتاحة مثل كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن عبد الله بن بشر أو كتاب تاريخ ابن غنام لحسين بن غنام.[١٠]

زوايا قراءة الأحداث

مر الكاتب بشكل غير عميق على مرحلة الشيخ مبارك، وجابر وسالم، نعم ذكر غالب الأحداث المهمة التي حدثت في عهده لكن لم يتعمق وربما لم يأتي بشيء جديد سوى بعض الوثائق البريطانية التي ضمنها في كتابه، وكم كنت أتمنى أن يضيف شيئًا لدور الشيعة مثلاً في معركة الجهراء، فهو اعتمد على كتاب حسين الشيخ خزعل وذكر أغلب ما كتبه خزعل، لكنه لم يأتي بوثيقة جديدة أو حتى بمعلومات جديدة كما فعل الباحث محمد الحبيب مثلاً في مقالته "الشيعة في معركة الجهراء" التي نشرتها دورية كان التاريخة، في مارس٢٠١٣[١١] (عندما ذكر اسم أحد أبناء عائلة دشتي وسمته الوثيقة شهيد)، كما لم يكن هناك تحليل لمجريات الأحداث أو محاولة لربط المعلومات أو حتى تبرير ما حدث. وفي صفحة ٣٦ ذكر الكاتب معركة الرقة وضع في الهامش اسم شخصين سماهم من شهداء معركة الرقة، ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه، كما أنه لم يذكر لنا كقراء هل خسر أهل الكويت هذين القتيلين فقط أم كان هناك قتلى آخرون؟

من مميزات الكتاب هو تخصيص أكثر من ٥٠ ورقة حول المجلس التشريعي، لكن أيضًا لم يكن هناك تحليل إنما نقل مع الوثوق بما هو مكتوب وهذا يقلل من أهمية العمل إذا يجعله وصفيًا لا يضيف شيئًا على ما سبق، لم أجد على سبيل المثال التعارضات بين مذكرات خالد العدساني وما ذكرته الوثائق البريطانية، وهذا بالطبع يثري الكتاب جدًا خصوصًا وأن هناك معلومات بين السطور في هذا الموضوع على وجه الخصوص لم يتطرق لها أحد من قبل بسبب حساسية ما حدث، وكان الأجدر بالكاتب التعمق في تفاصيل ما حدث وتحليلها كونه بذل جهدًا واضحًا جدًا في القراءة وجمع المصادر، وقد كنت حين قراءتي لفصل المجلس التشريعي اكتب بين حين وآخر هذه الكلمات" لماذا، هل له علاقة بكذا وكذا، ما أهمية ذكر هذه المعلومة"! وهذا يعزوا ربما لعدم وجود إطار نظري للتحليل من خلاله.

يذكر الكاتب الكثير من الشخصيات في الكتاب لكنه لا يعرف بها، فهو يفترض أن القارئ يعرفها وهذا من القصور في العمل، فهناك أعلام لا تحتاج للتعريف، وهناك أشخاص هم أعلام في بلدانهم لكنهم لغير أهل البلد مجهولين مثل الشيخ سعدون شيخ المنتفق،[١٢] أو شملان بن علي،[١٣] وغيرهم الكثير. كما أنه سمى الكاتب الشيخ عثمان بن سند بعثمان البصري ولم يعرف به، ونسب الشيخ هو عثمان بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن سند بن راشد بن علي بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن حمد بن يعقوب بن حمد الرباعي العنزي الوائلي.[١٤] ولا أعلم إن كان اطلع على كتاب سبائك العسجد، واعتراضي هنا أن الشيخ يسمي نفسه البصري كنية لا نسبًا، ومثل هذا الفعل كان مشهورًا في السابق.

يحسب للكاتب أيضًا حديثه عن طلب جزء من الشيعة العجم للجنسية البريطانية خلال أحداث المجلس التشريعي ١٩٣٨ خصوصًا

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

وأن الكاتب محسوب على شيعة الكويت، لكنه في الوقت ذاته يعتمد على مقولة الدكتور فلاح مديريس في أنه في مجلس ١٩٢١ نصت الوثيقة على وجود اثنين من العجم كأعضاء في المجلس، وهذا منافي لكلام معاصرين وأعضاء في المجلس كالشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ يوسف بن عيسى، ثم أن المديرس لا يضع الوثيقة التي اعتمد عليها في كتابه وهذا يضعف كثيرًا رأيه.

ينقص الكتاب التحليل في جزئيه الثاني والثالث كمعاصر للكثير من الأحداث التي ذكرت في هذين الجزئيين كنت أتساءل ما الذي أضافه الكتاب لي؟ نعم هو حفظ ووثق الأحداث، لكنه لم يعطي للجيل الذي سيأتي بعد ١٠٠ عام ماذا حدث وسيتركهم يعانون كما نعاني نحن اليوم في تفسير أحداث وقعت في زمانهم، والأصل هو التحليل والربط والتنبؤ خصوصًا في كوارث كبيرة كالمناخ، والغزو، وإسقاط ناصر المحمد، خصوصًا أن الكاتب أحد المشاركين في الأحداث، كما يتضح من بعض الصور والوثائق التي نشرها وهي من تصويره.

فترة الغزو العراقي للكويت هي فترة مهمة في تاريخ الكويت الحديث والمشاركون فيها لا يزال معظمهم على قيد الحياة، وقد أغفل الكاتب الدور الشعبي في مقاومة الاحتلال العراقي وأبرز الدور السياسي، فهو لم يخصص في كتابة مكانًا ليناقش فيه دور المقاومة الكويتية في الدفاع عن أرضها خلال شهور الاحتلال السبعة، كذلك لم يتطرق للدور الشعبي في إدارة شؤون المواطنين اليومية، وما يُعرف بـ "لجان التكافل" التي ساهمت في الحياة اليومية للمواطن الكويتي خلال فترة الاحتلال.

في الحقيقة؛ لقد اهتم هذا المقال بنقد كتاب محمد اليوسفي بأجزائه الثلاثة (الكويت من النشأة إلى الاستقلال)، (من الدستور إلى الاحتلال) وختامًا (من التحرير إلى الاختلال) نقدًا ركز على منهجية الباحث، والمصادر التي استخدمها، ثم قراءة نقدية لبعض الأحداث التاريخية التي عرضها في كتابه.

الهوامش

(١) الرشيد، عبد العزيز، **تاريخ الكويت**، المطبعة العصرية، ١٩٢٦، الجزء الأول ص ١٠- ١٦ .

(٢) الرشيد، عبد العزيز، **تاريخ الكويت**، المطبعة العصرية، ١٩٢٦، الجزء الأول، ص ٦ .

(٣) القناعي، يوسف، **صفحات من تاريخ الكويت**، الكويت، ذات السلاسل، ط ٥، ١٩٨٧.

(٤) اليوسفي، محمد، **الكويت من النشأة إلى الاستقلال**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٣، ص ١٦.

(٥) المصدر السابق، ص ١٤.

(٦) القاسمي، سلطان، **بيان الكويت: سيرة حياة الشيخ مبارك بن صباح**، بيروت، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، ط ٢، ٢٠٠٦.

(٧) الخويطر، خالد، **كون الصريف: دارسة تاريخية شاملة لوقائع معركة الصريف**، بيروت، دار جداول، ٢٠١٣.

(٨) الشمري، خليف، **المستودع والمستحضر في أسباب النزاع بين مبارك آل صباح ويوسف آل إبراهيم**، دمشق، دار نينوى، ٢٠٠٨.

(٩) اعتماده على كتاب تاريخ الكويت الحديث لأحمد أبو حاكمه في الصفحات ٤٠- ٤٩.

(١٠) البشر، عثمان، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبد الرحمن الشيخ، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٢.

(١١) الحبيب، محمد إبراهيم، **الشيعة في معركة الجهراء: قراءة وثائقية جديدة**، دورية كان التاريخية، العدد ١٩، مارس ٢٠١٣، ص ٩- ٢٣.

(١٢) **سعدون باشا**: هو سعدون باشا بن منصور باشا بن راشد بن ثامر السعدون، شيخ المنتفق، ولد في سنة ١٨٥٣، وسيطر على بادية المنتفق بعد عودة آل سعدون إلى ديارهم سنة ١٨٨٢، وكوّن قوة استعان بها الأتراك وحدثت بينه وبين جابر بن مبارك وقعه هدية، وثارت عليه بعض عشائر المنتفق في سنة ١٩١١ وحاصرته في قلعه المائعة بالناصرية، ثم خرج إلى البصرة، وألقى الأتراك القبض عليه، ونقل إلى بغداد، ومنها إلى حلب لمحاكمته، لكنه توفي قبل المحاكمة في سنة ١٩١١. (الخالدي، إبراهيم، **المصور البدوي**، الكويت، ط١، د.ن، ٢٠٠٤، ص١٠٧- ١٠٨).

(١٣) **شملان بن علي**: من أكبر تجار اللؤلؤ في عصر مبارك، عمل بالتجارة، ساهم في التبرع لإنشاء المدرسة المباركية بخمسة آلاف روبية (القناعي، **صفحات من تاريخ الكويت**، ص٤٤).

(١٤) الموقع الإلكتروني: *http://www.saaid.net/Doat/almubark/35.htm*

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449